المؤرخ العراقي المتخصص بالاثار والتاريخ القديم
الدكتور عبدالهادي الفؤادي

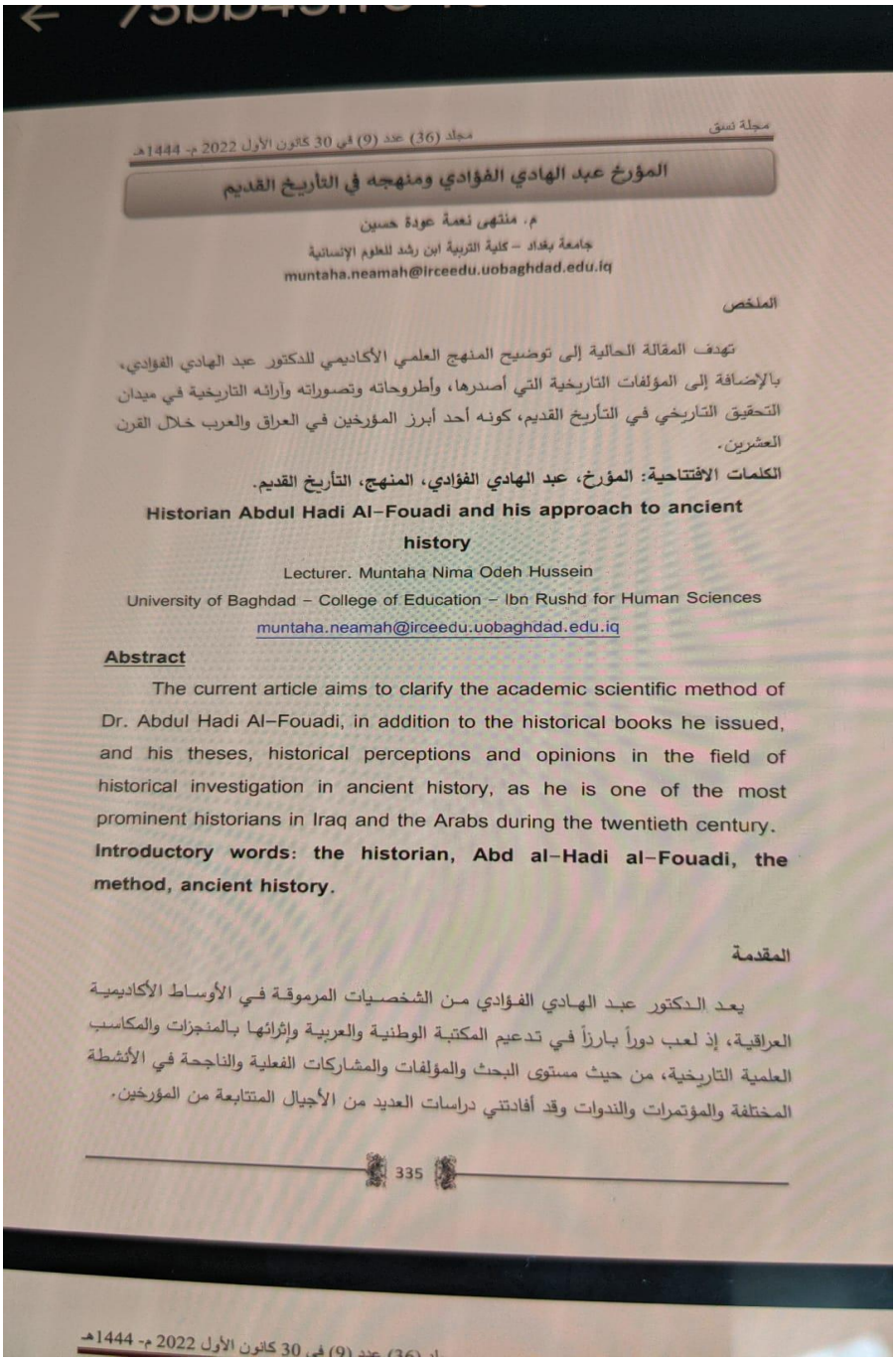

المؤرخ عبد الهادي الفؤادي ومنهجه في التأريخ القديم

م. منتهى نعمة عودة حسين
جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
muntaha.neamah@ircedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص

تهدف المقالة الحالية إلى توضيح المنهج العلمي الأكاديمي للدكتور عبد الهادي الفؤادي، بالإضافة إلى المؤلفات التاريخية التي أصدرها، وأطروحاته وتصوراته وآرائه التاريخية في ميدان التحقيق التاريخي في التأريخ القديم، كونه أحد أبرز المؤرخين في العراق والعرب خلال القرن العشرين.

الكلمات الافتتاحية: المؤرخ، عبد الهادي الفؤادي، المنهج، التأريخ القديم.

Historian Abdul Hadi Al-Fouadi and his approach to ancient history

Lecturer. Muntaha Nima Odeh Hussein
University of Baghdad – College of Education – Ibn Rushd for Human Sciences
muntaha.neamah@ircedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The current article aims to clarify the academic scientific method of Dr. Abdul Hadi Al-Fouadi, in addition to the historical books he issued, and his theses, historical perceptions and opinions in the field of historical investigation in ancient history, as he is one of the most prominent historians in Iraq and the Arabs during the twentieth century.

Introductory words: the historian, Abd al-Hadi al-Fouadi, the method, ancient history.

المقدمة

يعد الدكتور عبد الهادي الفؤادي من الشخصيات المرموقة في الأوساط الأكاديمية العراقية، إذ لعب دوراً بارزاً في تدعيم المكتبة الوطنية والعربية وإثرائها بالمنجزات والمكاسب العلمية التاريخية، من حيث مستوى البحث والمؤلفات والمشاركات الفعلية والناجحة في الأنشطة المختلفة والمؤتمرات والندوات وقد أفادتني دراسات العديد من الأجيال المتتابعة من المؤرخين.

المبحث الأول

سيرته الذاتية ومراحل التعليم

ولد عبد الهادي الفؤادي في مدينة الديوانية سنة 1941م . بعدها درس في مدرسة الهاشمية الأبتدائية للبنين وللفترة 1946 م -1951 م وحصل على شهادة الأبتدائية، والتحق بعدها في ثانوية الديوانية للبنين سنة 1952 وفي سنة 1956 أكمل دراسته في ثانوية الجعيفر المسائية وحصل على شهادة الثانوية سنة 1957.

في سنة 1958 درس في جامعة بغداد وحصل على شهادة البكالوريوس في الآثار والحضارة بدرجة الشرف وكان ذلك في عام 1961.

كان الدكتور عبد الهادي الفؤادي بالإضافة الى اللغة العربية يتقن اللغات السومرية والسريانية والألمانية.

المبحث الثاني

المؤرخ عبد الهادي الفؤادي ومراحل التعليم التخصصي

لابد لنا قبل التطرق الى مراحل التعليم التخصصي للمؤرخ الدكتور عبد الهادي الفؤادي نود أن نبين أنه كان عامل فني بأجرة في البنك العثماني / الاعتماد كان ذلك في 5/ 11/ 1957 ولغاية 11 / 8/ 1961 .

بتأريخ 1962/1/3 تعين بالوظيفة في وزارة الأعلام / مديرية الأثار العامة / بغداد.

بتأريخ 1979/2/10 نقل من مديرية الأثار العامة الى جامعة بغداد / كلية التربية / أبن رشد .

بتأريخ 1989/9/4 عد مستقيلا من الخدمة بعد انتهاء أجازته الاعتيادية الممنوحة له بدون راتب لمدة سنة ثانية خارج القطر وعدم عودته للقطر ومنح الحقوق التقاعدية .

المبحث الثالث

منهجه في تدريس تأريخ العراق القديم

سعى الدكتور عبدالهادي الفؤادي في البحث التاريخي إلى الاهتمام بالجزئيات واجتهد في في الوصول إليها ونظمها في مجالين، الأول أنه يرى أن الكليات يجب أن تنبني على الجزئيات السليمة التي تشكلها، وأن يقوم في رسمها بحساب الجزئيات المتناقضة مع الكليات ولا تساندها، حيث تستند رؤيته إلى أن التطور التاريخي من العمليات الواسعة النطاق التي تنطوي على

مبادئ عامة واتجاهات خاصة قد لا تتفق مع المبادئ العامة، ويساهم التحقيق في الجزئيات على اكتشاف المبادئ العامة والاتجاهات الخاصة على حد سواء، وفي إظهار رفاهية نفسية على أساس أنها تعزز الفضول وحب الاستطلاع، ووجد أن معظم الكتب التي تم تأليفها حول تاريخ العراق القديم تستند إلى شرح جزئيات متتالية تم قبولها وتكرارها قديماً وحديثاً من قبل الناس، والقاعدة العامة تقول أن اللاحق يتبع السابق في كثير من الأحيان، وأن المتأخر أو الحديث ينقل عن المتقدم أو القديم، ومن ثم اعتمد مؤرخونا على هذه السمة في البحث، وبالتالي وافقوا على رأي من هم أقدم فيما يتعلق بالجزئيات مع أن ذلك قد يبتعد عن الدقة والصواب.

ويشدد الفؤادي في منهجه على ضرورة الاهتمام بالنصوص التاريخية بما فيه الكفاية، نظراً لأنها تشكل القاعدة الرئيسة لموضوعات علم التاريخ، إذ أن التاريخ لا يُكتب بدون النصوص بيد أن هذه النصوص تتسم بأنها (صماء وبكماء) وأن المؤرخ يجب أن يستعمل ما لديه من أفكار وتصورات لاستيعابها بشكل صحيح، وأن يدرك العلاقة التي تربط كل نص بالنصوص الجزئية السابقة، وأن يقدر درجة أهمية وعمق وسعة هذه العلاقة، وهو بذلك يستعمل فكره وتصوراته الخاصة في استنتاج ذلك، ويعد استخدام الفكر من العناصر الرئيسة منذ أولى مراحل الدراسة، وفي الواقع لا تقتصر كتابة التاريخ على ترتيب سرد الوقائع، فهو ليس جدولاً بمواعيد القطارات، وبعبارة أخرى إن التاريخ لا يهتم بسرد الحقائق وترتيبها فحسب، وإنما يدرس العلاقة التي تربطها ببعضها البعض، ويقدر الدور الهام لكل جزئية بما يسيغ (التعايش) مع تلك الحقائق، وقد تمكن مؤرخنا من التركيز في الجهود التي بذلها على دراسة مظاهر الحضارة والحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال منهجه العلمي الذي يستند إلى البحث الأكاديمي المنظم والممنهج القائم على الاستنباط والاستنتاج والتحليل، وربط الجزئيات ببعضها البعض.

أبرز مؤلفاته

1. دور الثقافة العربية في العراق القديم (1961).
2. القصص في العصر الإسلامي (1966).
3. رحلة ايانا إلى أريدو (1971).
4. بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر (1973).
5. بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر –القسم الثاني (1974).
6. الإلهيات البابلية (1975).
7. الامتحانات في العهد البابلي (1976).
8. (تمثال باسيتكي والكتابة الأكدية نارام سين ملك أكد(1976) .باللغة الإنكليزية).

9. كتابات ومنحوتات من بتوانا (1978) (باللغة الإنكليزية).
10. النصوص المدرسية والقرصية والشكل (1979).
تستعرض أدناه عرض ملخص لقسم من هذه المؤلفات: -

1- القصص في العصر الإسلامي (1966).

مما لا شك فيه أن القرآن ينطوي على العديد من القصص التاريخية المليئة بالعبر والدروس، وقد تأثرت الفنون الجديدة في الأدب العربي كفن القصة بالقصص القرآني، إذ اتسمت قصصه بالاستفاضة مع الإلمام بالوقائع والمجريات بأكبر درجة من الروعة والكمال فضلاً عن استيعابه بعض السور الكبرى مثل سورة يوسف، كما ورد كمتفرقات موجزة عبر عدد من السور كقصة عيسى وموسى وإبراهيم وآدم، وعلاوة على ذلك فقد ورد القصص القرآني بإلماعات وإشارات جعلت المختصين بتلك القصص من الجمهور يراجعون كتب العهد القديم، كقصص أنبياء بني اسرائيل وقصص يعقوب، الأمر الذي استدعى مجموعة من الباحثين إلى الذهاب في الرأي بأن أقاصيص وكتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أثرت بشكل كبير على أغلب قصص أولئك القصاص.

وفي الواقع مثّل القرآن مادة ثرية وملائمة لأولئك القصاص الأوائل، فقد عثروا فيه على كل ما ينشدونه ويلتمسونه، فأخذوا يقتبسون من الإشارات والقصص والأحداث التي ذكرها المصدر والسند الذي من خلاله يشددون على أن ما يحكونه ويذكرونه للناس ما هو إلا تأويل للقرآن ومذكور فيه، ومن النقاط الأساسية والهامة ذات الصلة بالموضوع والتي ينبغي الإشارة إليها هي أن أولئك القصاص كانوا في البداية وعاظاً في المساجد يقدمون النصيحة والموعظة للناس من خلال شرح وتفسير القرآن، ثم بدأوا يتجهون بوعظهم وتفاسيرهم إلى الأساطير والقصص في حلقة مخصصة لهم.

إن استناد المفسرين إلى الإسرائيليات والثقافة التاريخية وإلى الافتراضات النظرية لاستيعاب القصص القرآني وفهمه قد أوصلهم إلى متاهات ولم يصل بهم إلى حقيقة الأمر في المسألة، وكذلك لم يوصلهم في كل موضع إلي ما يلتمسونه من محو الالتباس وإظهار الغموض.

وقد بدأ اولئك القصاص أولى حلقاتهم في الجوامع، واعتمدوا الإرشاد والوعظ منهجاً لهم. وشرعوا يعظون المسلمين ويحكون لهم قصصاً عن الخليقة ، وبداية الكون، واللوح، والقلم، والعرش، والطوفان وغير ذلك من القصص المذكورة في القرآن إيجازاً وتلميحاً إلى الحياة الآخرة والجنة والنار وما يتعين على الإنسان أن يقوم به حتى ينال رضوان الله ويصبح من أهل الجنة،

وبعد ذلك يقومون بتفسير آيات القرآن تفسيراً قصصياً ويصورون فيه الحياة الآخرة وما ينتظر أهل الجنة من ثواب ونعيم، وما ينتظر أهل النار من عذاب أليم وبئس المصير.

وقد ورد في الكتاب عدد من رواد القصص التاريخي والديني منهم الحسن البصري:

"وهو ابن أبي الحسن البصري؛ شخصية بارزة من شخصيات القرن الأول الهجري، سبي أبوه إبان الفتوحات الإسلامية وحمل من ميسان إلى المدينة، وغدا فيها مولى لزيد بن ثابت الشهير وتزوج من أمة لأم سلمة تدعى « خيرة » فأنجبا الحسن عام ٢١ هـ - 642 م وشب الحسن في وادي القرى، ثم استقر في البصرة " وقد عُرف فيها بفصاحته وبلاغته وعلمه وتقواه وحسن خلقه، كما كان يعد نظيراً لمعاصر الحجاج في الخطابة، وكذلك اشتهر الحسن البصري باتصاله بسبعين من الرجال الذين شهدوا غزوة بدر، "وإن كان عمدته في رواية الحديث هو أنس بن مالك".

وتميز الحسن البصري بأنه يجيد القصص، كما اشتهر بالتقوى والورع، وباتساع أفقه وتضلعه في الفقه وتفوقه في مختلف أمور الدين، وكان أئمة المسلمين والخلفاء بموقفهم المتشدد تجاه القصاصين، فقاموا بمنع جمهور المسلمين من الاستماع إلى أحاديثهم والجلوس إليهم، ومن الجدير بالذكر أن الامام علي بن أبي طالب (ع) حينما دخل مسجد البصرة شرع في إخراج القصاصين تباعاً حتى وصل في النهاية إلى الحسن البصري فلم يخرجه وأبقاه يحدث الناس، وهذا يعبر عن تقديره واحترامه لشخص الحسن البصري وتقواه وورعه وعلمه.

2. رحلة ايانا إلى أريدو (1971)

في الواقع كان الأدب الأسطوري من السمات الفريدة التي تميز الأدب العراقي القديم في العديد من جوانبه، وقد وصلت إلينا الكثير من الأساطير التي نقلت لنا ثروة أدبية تنطوي على عوامل متنوعة، وهذا الشكل من أشكال الأدب شائع لدى العديد من الشعوب سواء في الماضي أو الحاضر، ولكن بدرجات متفاوتة من أدب لآخر ومن شعب لآخر.

ويعد أدب الرحلات الأسطورية من الآداب القديمة في العراق، وهذا الشكل من أشكال الأدب يتعلق بسرد- أو في بعض الأحيان مجرد الإشارة إلى- رحلة أو رحلات يضطلع بها أحد الآلهة أو الآلهة إلى إله آخر (وهذا الإله يكون في الغالب أب ذلك الإله أو تلك الآلهة) ونظراً لتنوع الهدف من هذه الزيارات، وبناء على دراسة ما هو متوفر من هذه الأساطير، فإنه يمكننا القول أن هناك شكلين من الرحلات: الأول، ويتضمن جملة الزيارات والرحلات التي يضطلع بها إله أو إلهة إلى آلهة أخرى من أجل الحصول على مغانم محددة أو تبريكات أو هدايا، ويمكن أن نطلق عليه "رحلات الاستعطاف"، ومن أمثلتها رحلة "ايانا" موضوع البحث.

في حين ينطوي الشكل الثاني على رحلات تضطلع بها آلهة محددة إلى آلهة أخرى، بهدف إعلام الآلهة الأخيرة وإخطارها طقوسياً ورسمياً باكتمال تشييد معبد ما و وإقامة احتفال بذلك، ومن أمثلتها رحلة اينكي إلى نُفرّ.

قررت (اينانا) الإلهة التي تزود عن مدينة أوروك (الوركاء) أن تقوم برحلة إلى والدها الإله (اينكي) في مدينته أريدو بهدف المحافظة على ازدهار ورخاء مدينتها (الوركاء) وسعياً لتمجيد وتعظيم سمعتها واسمها، ويشتهر الإله اينكى في الأدب السومري بأنه إله الحكمة.

3-بحث في الأمثال العراقية – دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر 1973

في الواقع تستمد المجتمعات الإنسانية العبر والدروس والخبرات عن طريق ما تعانيه يومياً من المشكلات الحياتية وما تتكبده من آلام في صراعها المتواصل وغير المستقر، وخلال مشوارها الطويل للتعامل مع تلك المشكلات والتغلب عليها من أجل تشييد الموطن الحياتي الذي يلائمها، وهذه العملية الاجتماعية تؤدي إلى إنتاج مُثل وقيم تشير إليها أو تتولد عن طريق المرحلة الاجتماعية التي يجتازها أي شعب من الشعوب، ومن ثم يحاول ذلك الشعب وضع تلك الأفكار والتجارب والخبرات والقيم والمثل التي استخلصها والتي مر بها خلال القرون بصياغتها في عبارات وجمل قصيرة بطريقة لاذعة ومبررة يطلق عليها "مثل"، أو " قول سائر"، أو " كلام مأثور".

وقد شيّد السومريون أول مجتمع حضاري مزدهر ومتكامل في تاريخ البشرية، وتركو لنا تراثا حضارياً كبيراً وخاصة في مجال الأمثال أو الأقوال المأثورة، ومثل أي شعب من شعوب العالم تثار حماسته بالمجتمع المحيط به، فهو يفخر ويتباهى، ويمدح ويذم، ويحب ويكره، وبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الأمثال السومرية هي الميدان الوحيد من ميادين الآداب العراقية القديمة التي نستطيع عن طريقها نكتشف وشخصية الفرد السومري الاعتيادي ونفسيته وأحاسيسه، نظراً لأن المجموعات المتنوعة من تلك الأمثال تجسد وتعبر عن القلق النفسي للفرد عن انفعالاته وإرهاصاته العاطفية، كما تعكس بعضاً من مُثله وقيمه التي تتسم بها شخصيته. وهكذا صارت هذه الناحية الأدبية تمثل أهمية خاصة بالنسبة للمجالات الأخرى من الأدب الأخرى، مما يستعي من كل باحث يسعى لدراسة أوضاع المجتمع العراقي القديم أن يرجع إليها ويدرسها بحرص.

وتقع الأمثال المختارة في نطاق موضوع الحالة والمؤسسات الاجتماعية، وهي تتطرق بشكل خاص إلى الأسرة، والأصدقاء والأقارب، وجملة من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى المؤسسات السياسية.

وفي مسألة الزواج والحب يقول العراقيون القدماء: "من تحب، فأنت تتحمل' عبوديته" في حين يقول العراقيون في الوقت الحاضر: "ضرب الحبيب زبيب "ويقولون كذلك: "وكل ما يفعل المحبوب محبوب " وقد ذُكر هذا بأسلوب العربية الفصحى، وكان هذا المثل قد ورد باللغة السومرية بجانب ترجمته إلى اللغة الأكدية في اللوح نفسه.

ومثل أي أدب من آداب الشعوب القديمة، نلاحظ بوضوح أن الحكم والأمثال قد ظهرت في بدايتها كأقوال مأثورة وعبارة متداولة بين أفراد المجتمع ومؤثرة على حياتهم اليومية حيث اعتادت الألسن على نقلها من جيل لآخر.

لقد بنى السومريون الحضارة الأولى في التاريخ العراقي القديم، وساهموا إلى حد بعيد في إرساء قواعد الحضارة العراقية' وتركوا وراءهم تراثاً حضارياً متنوعاً وكبيراً في شتى مناحي الحياة ولاسيما المجال الأدبي، وكانوا أول من وضع أسس هذا النوع من الأدب الذي ساعدنا في التعرف على طريقة تفكير الإنسان العراقي ومشاعره وأحاسيسه في تلك الحقبة الزمنية وإرهاصاته الفكرية والعاطفية والنفسية، بالإضافة إلى مجموعة من مُثله وقيمه التي امتزجت بطابعه وطابع المجتمع الذي تواجد فيه.

وكذلك فإن الحكم والأمثال المتعلقة بالمياه، مثلها مثل باقي الأمثال بشكل عام، كانت تعكس مواضيع متنوعة من الحياة اليومية للسكان، وقد اتسمت طبيعة بعضها بالصعوبة في استيعاب المغزى المراد منها، وقد يعزى ذلك إلى أسلوبها الوجيز ولغتها المكثفة.

لقد صوّرت الأمثال العراقية القديمة وعبرت عن المكانة الهامة لصلة الرحم ورابطة النسب عند مواطني بلاد الرافدين ولا زالت تحتل هذه المكانة حتى وقتنا هذا، ومن الأمثلة الشعبية التي تصور ذلك: " الدم ميصير ماي" .

4- تمثال باسيتكي والكتابة الأكدية نارام سين ملك أكد (1976)

تمثال باسيتكي عبارة عن نصب تذكاري من العهد الأكدي (2350-2100 قبل الميلاد) في بلاد الرافدين، وقد وجد هذا التمثال سنة 1960 قرب قرية باسيتكي التي تقع في محافظة دهوك في شمال العراق، وتم صنع هذا التمثال من النحاس النقي، ويصل وزنه إلى 150 كيلو غراماً (330 رطلاً) وهو يصور طبيعة إنسان عاري جالس على قاعدة مُستديرة، وكان هذا التمثال قد سرق من المتحف العراقي إبان غزو العراق سنة 2003 حتى عثر عليه وأعيد ثانية إلى المَتحف.

وفي الواقع إن هذا التمثال الرائع يبرهن بالتأكيد على ما استخلصه مؤرخو الفن، وبعبارة أخرى لقد وصل الفن التشكيلي إلى أوجه خلال العهد الأكادي وصار أكثر حيوية وواقعية وطبيعية، وبالطبع تعتبر الحيوية إحدى الخصائص الهامة الملحوظة في التمثال محل النقاش.

وتجدر الإشارة إلى أن المديرية العامة للآثار العراقية قد أظهرت اهتمامها الشديد بنسب أجزاء الجسم البشري التي يعبر عنها التمثال، الأمر الذي يدل أيضاً على أنه كان مُلماً بالتشريح وأنه قد سبق العصر اليوناني بقرون، وبالإضافة إلى ذلك فإن شكل وضعية الجسم الذي تتضح في التمثال يبدو بدرجة كبيرة مثل تلك الأشكال التي كانت موجودة في العصر اليوناني .

5- كتاب بعنوان النصوص المدرسية القرصية الشكل، 1979

وهو يعد من الدراسات الهامة، ويتألف الكتاب من 168 نصاً تتعلق بالتدريبات المدرسية تعود إلى العصر البابلي القديم، ويستفاد منها في الإلمام بالأنماط المستخدمة من قبل التلاميذ، والمواد التعليمية، وأسلوب تعليمهم.

المصادر

1. الفؤادي ، عبدالهادي ، رحلة ايانا إلى أريدو ، مجلة سومر ، بغداد ، 1971، 53 .
2. الفؤادي ، عبدالهادي ، بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر
مجلة سومر ، بغداد ، 1974 ، الجزء الأول ، 83.
3. الفؤادي ، عبدالهادي ، بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر
مجلة سومر ، بغداد ، 1974 ، الجزء الثاني ،27.
4. الفؤادي ، عبدالهادي ، تمثال باسطكي والكتابة الأكدية لـ نرم – سن ملك أكد مجلة سومر ، بغداد ، 1976 ، 63 .
5. انظر : الحنفي : الامثال البغدادية : ١١١٧:١ .
6. النصوص ُالمدرسية ُالقرصية ُالشكل، القسم الأول وزارة ُالثقافةُ والفنونُ، مؤسسةُ الثقافةُ للآثار ، بغداد،1989.